وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

قسم العلوم السياسية

محاضرة في مقياس تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية

السنة الأولى جذع مشترك علوم سياسية

من اعداد: د. فؤاد جدو

نظرية صراع الحضارات ونهاية التاريخ

تمهيد:

من بين التحولات التي جاءت في سياق ما بعد نهاية الحرب الباردة هي ظهور اطروحات جديدة تتحدث عن الصراع الذي سيحدث بعد نهاية الحرب الأيديولوجية بين الشرق والغرب فظهرت نظرية صراع الحضارات لصمويل هنتنغتون الذي تناول الصراع بين الحضارة الغربية الرأسمالية والحضارة الإسلامية بالإضافة الى نظرية أخرى مهمة وهي نظرية نهاية التاريخ لفرنسيس فكوياما.

1- نظرية صراع الحضارات:

جاء مُصطلح صراع الحضارات في أطروحة "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي" لمؤلفه العالم السياسي الأمريكي صامويل هنتنغتون نشرها عام 1993م؛ حيث قَدّم نظريّةً ليصف ما يدور حول الحضارات الكبرى المُشاركة في الحرب الباردة، وجاءت هذه النظرية بمثابة ردٍّ مباشر لما قدمه تلميذه فرانسيس فوكوياما من أطروحة تحت عنوان نهاية التاريخ والإنسان الأخير.

يُعرف صراع الحضارات أيضاً بصِدام الحضارات؛ يُشير هذا المُصطلح إلى الاختلافات السياسية والاقتصادية والمُندلعة بين الدول القومية خلال الفترة التالية للحرب الباردة، وتشمل كلّاً من الحضارات الإسلامية والصينية واليابانية والهندية والغربية والأفريقية وأمريكا اللاتينية، وتُعزى الأسباب بالدرجة الأولى لهذه الخلافات إلى الاختلاف الثقافي فيما بينها. يُمكننا تعريف صراع الحضارات بأنّه عبارة عن إطار تَحاوري بين عددٍ من الثقافات المختلفة فيما بينها، نظراً لسعي كلٍّ منها إلى فرض ذاتها وثقافتها على الأخرى، وبالتالي يُهيمن الصراع الرهيب والطغيان الإنساني على هذه الحضارات.

أسس ومضمون نظرية صراع الحضارات:

نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتغتون ، الذي شرحها بالتفصيل من خلال كتابه "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" في العام 1996 اين ابتكر لفظ صدام الحضارات ليصف عالم ما بعد الحرب الباردة فيما يتعلق بالسياسة العالمية. فيعتبر أن الكتل التي تشكلت خلال الحرب الباردة الثلاث؛ العالم الحرّ بِقيادة الولايات المتحدة، الكتلة الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفياتي- دول عدم الانحياز، قد عفى عليها الزمن. فالدول بعد هذه الفترة تعيد اصطفافها على أسس ثقافية بعدما كانت سياسية واقتصادية وإيديولوجية. وانطلق من ذلك باعتبار أن الدول التي تتشابه حضاراتها تقترب من بعضها في أغلب الأحيان، أما الدول التي تختلف حضاراتها تنفصل عن بعضها في كثير من الأحيان مستشهداً بِحالة الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا التي انفصلتا عن بعض لأن ضمتا شعوباً من حضارات مختلفة.

كذلك يرى أن الحضارات الكبرى في العالم هي سبع: الغربّية، الأمريكيّة اللاتينيّة، المسيحيّة الأرثوذكسيّة، اليابانيّة، الهنديّة، الصينيّة، الإسلاميّة (وقد تُضاف الافريقية لتصبح الثامنة).

الدول المركزللحضارات ضمن النظرية:

من خلال تقسيم العالم إلى حضارات، صنّف هنتغتون أنه لكل حضارة دول رئيسية، وغالباً ما تمتلك أسلحة نووية. فمركز الحضارة الغربية متصل بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا وبريطانيا. أما مركز الحضارة المسيحية الأرثوذكسية فهي روسيا. وبالتالي مركز الحضارة اليابانية هي اليابان، ومركز الحضارة الهندية هي الهند. كذلك مركز الحضارة الصينية هي الصين، والبعض يشير إليها بالحضارة الكنفوشية حيث استخدمها هنتغتون في مقاله. إلّا أنه في كتابه فضّل استخدام الصينية معتبراً "من الأدق أن نستخدم اصطلاح الصينية، إذ بينما الكنفوشية أحد المكونات الأساسية في الحضارة الصينية، إلا أن الحضارة الصينية أكبر من مجرد أن تكون كنفوشية كما أنها تتخطى الصين ككيان سياسي." بينما حضارتا أمريكا اللاتينية والإسلامية لا يوجد لديهما دولة مركز كما هول الحال للحضارة الأفريقية. واعتبر هنتغتون أنه ستحدث أهم النزاعات في المستقبل على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل هذه الحضارات الواحدة عن الأخرى.

- **التوكيد الصيني** : يرى هنتغتون أن الصين أحرزت تقدماً لافتاً من خلال تنامي اقتصادها، وإذ استمرت في السير ضمن هذا النمو فستفرض نفسها في الشؤون الدولية وهذا الأمر طبيعي. فإنّ

الدول التي تقوى اقتصادياً تتمكن من لعب دور هام على الساحة العالمية كما تمكنت ألمانيا في القرن الماضي من القيام بذلك. فالصين تسعى إلى استئناف دورها ونفوذها في شرق آسيا بعدما كانوا قد حازوا عليه لقرون وصولاً للقرن التاسع عشر. وهذا سيكون مصدراً للخلاف مع الولايات المتحدة التي تعارض أي نفوذ قوة أخرى على كل من أوروبا الغربية وشرق آسيا، وهذا ما سنشرحه لاحقاً .

- الصحوة الإسلامية :يشير هنتغتون إلى العدد المرتفع للمسلمين وتوجههم نحو الإسلام باعتباره المصدر الأساسي للهوية والشرعية والأمل. ويوضح أن الصحوة الإسلامية هي الجهد الذي يبذله المسلمون لمحاولة تكييف الحضارة الإسلامية مع الغرب، وذلك من خلال القبول بالحداثة مع رفض التغريب أي الثقافة الغربية وعودتهم للإسلام كدليل حياة في العالم الحديث. "وهي حركة فكرية ثقافية اجتماعية سياسية عريضة منتشرة في معظم أنحاء العالم العربي." وهذه الصحوة ساعدت في نشر الإسلام السياسي وأسلمة القوانين. وهنا لا بدَّ الإشارة إلى فصل هنتغتون ما بين الحداثة والتغريب؛ يعتبر أنّ كل المجتمعات تريد أن تتحدث وتتطور والناس يريدون أن يصبحوا أغنى وأن يستفيدوا من التكنولوجيا المتطورة لكن ليس بالضرورة أن يصبحوا متغربين. فالشعوب وإن تبنت الثقافة الأمريكية العالمية (كالأفلام والمنتجات الاستهلاكية)، لكن لا يزالون في دواخلهم وفي نصفهم الآخر متمسكين بالممارسات التقليدية لحضاراتهم. "الإحياء الإسلامي أعطى للمسلمين الثقة بحضاراتهم وقيمهم." وهذا ما سيعزز الصراع مع الغرب.
- القوة الغربية: يؤكد هنتغتون على قوة الحضارة الغربية لما لها من دور مؤثر على كافة الحضارات الأخرى من خلال إدارتها للنظام المصرفي العالمي، قوة عملتها، تصديرها للسلع الأساسية، اعتبارها زبون أساسي للعالم مسيطرة على أغلب الأسواق، قوتها العسكرية وقدرتها على التدخل، تطورها التكنولوجي والعلمي... ويعتبر أن الغرب سيستمر بِكونه المسيطر الأول في القرن الواحد والعشرين. ولكنه يوضح أن موازين القوى لباقي الحضارات تتغير مما سيؤثر على الحضارة الغربية ويجعلها تستمر بالاضمحلال، فصعود حضارات أخرى يُضعف الغرب. وبدوره اقترح بعض النصائح للحضارة الغربية لتكون قادرة على الحفاظ على مركزها مع تدهور القوة الغربية، وهي أن تقوم الولايات المتحدة والدول الأوروبية فيما يلي:

" -تحقق تكاملاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً أكبر وتنسق بين سياساتها حتى تحول دون استغلال الحضارات الأخرى للاختلافات القائمة بينها.

-تدمج دول أوروبا الغربية وأوروبا الوسطى في الاتحاد الأوروبي والناتو: وهي دول الفيزيجارد وجمهوريات البلطيق وسلوفينيا وكرواتيا.

-تشجيع تغريب أمريكا اللاتينية وانحيازها إلى الغرب قدر المستطاع.

-تكبح القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للدول الإسلامية والصين.

-تبطء من عملية ابتعاد اليابان عن الغرب وتوجهها نحو التكامل مع الصين.

-تقبل أن تكون روسيا مركزاً للأرثوذكسية وقوة إقليمية رئيسية ذات مصالح مشروعة في أمن حدودها الجنوبية.

- تحافظ على تفوقها التكنولوجي العسكري على الحضارات الأخرى"...

2- نظرية نهاية التاريخ:

تعود نظرية التاريخ إلى مؤسسها فرانسيس فوكوياما، في عام 1992 أصدر المفكر الأمريكي، ذو الأصول اليابانية، فرانسيس فوكوياما كتابه نهاية التاريخ وخاتم البشر الذي طور فيه أفكاره النظرية حول 'نهاية التاريخ'، التي سبق أن وضع خطوطها الأولى في صيف عام 1989 في مقالة شهيرة حملت ذات العنوان ولكن بصيغة تساؤلية حذرة، نشرتها مجلة ذي ناشيونال إنترست The National Interest اليمينية المعروفة." فاستخدم فوكوياما كلمتي نهاية التاريخ معاً للإشارة إلى أنّ التاريخ بالنسبة له "عبارة عن خطوات التطور التدريجية والشاملة للمجتمعات والمؤسسات البشرية والسياسية والاقتصادية. هذه العملية التاريخية تجد منتهاها في الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق." والمقصود بنهاية التاريخ وفقاً للنظرية هو نهاية الأيديولوجيا وليس من الناحية الدينية، والإنسان الأخير بالنسبة له هو الذي يشعر بقيمته كإنسان ويحصل على الاعتراف به، فيصوره على أنه الذي يعيش في المجتمعات الليبرالية الديمقراطية والذي حصل على اعتراف من قبل الدولة به.

- **عناصر نظرية نهاية التاريخ :**

إنّ نظرية نهاية التاريخ تقوم على مجموعة من العناصر والتي تميزها عن غيرها من النظريات، وهي تتجلى فيما يلي:

-إنّ الديمقراطية بشكلها المعاصر بدأت بالنمو منذ بداية القرن التاسع عشر وأخذت بالانتشار تدريجياً كبديل للأنظمة الديكتاتورية في مختلف أنحاء العالم. فيقول فوكوياما: "فمن بين الأنماط المختلفة للأنظمة التي ظهرت عبر تاريخ الإنسانية، (من الملكيات والأرستوقراطيات، إلى الحكومات الدينية الخاضعة لرجال الدين، إلى الديكتاتوريات الفاشية والشيوعية في قرننا هذا)، نجد أن الشكل الوحيد للحكومية الذي بقي ثابتاً لم يمس حتى نهاية القرن العشرين، هو الديمقراطية الليبرالية.

-إنّ فكرة الصراع التاريخي بين السادة والعبيد لا يمكن أن يكون له نهاية إلا من خلال الديمقراطية والسوق الحر. حيث يعتبر أنّ ستسود في نهاية التاريخ الدولة الليبرالية، حيث يعتبر أنّ الليبرالية لها مميزات كالعقلانية أي تحقق الاعتراف بمختلف الأطراف. كما أنه يعتبرها '"عامة' بمعنى أنها 'توفر الاعتراف لجميع المواطنين لأنهم بشر، لا باعتبارهم أعضاء في جماعة وطنية أو عرقية أو جنسية معينة'. وهي دولة 'متجانسة' بحيث 'تخلق مجتمعاً لا طبقات فيه يقوم على أساس إلغاء الفوارق بين السادة والعبيد"'.

- إنّ الاشتراكية أو الشيوعية لا يمكنها أن تتنافس مع الديمقراطية، حيث يعتبر أن الديمقراطية هي أفضل النظم أخلاقياً وسياسياً واقتصادياً. وحتى إن عاد أي نظام فإنّ التاريخ قد انتهى للديمقراطية وستبقى تقوى أكثر. فيقر أنه "منذ بداية التسعينات، لم يبق في ساحة المعركة إلاّ أيديولوجيا واحدة ذات طابع شمولي وهي الديمقراطية الليبرالية، فالايديولوجيا الشيوعية انتهت، أما الإسلام فهو 'يشكل نظاماً أيديولوجياً آخر متماسكاً، شأن الليبرالية والشيوعية، وأن نظامه الأخلاقي الخاص وعقيدته الخاصة في العدالة السياسية والاجتماعية، ودعوات ذات طابع شمولي تتوجه إلى جميع الناس... إلاّ أنّ هذا الدين لا يبدو أن يمارس أية جاذبية خارج الأصقاع التي كانت إسلامية ثقافياً منذ بدايتها'."